

تحليل أسس السياسة العلوية (ع)

تأريخ القبول: ١٤٣٩/٣/٢٠

تأريخ الاستلام: ١٤٣٩/١/٣

إكرم إحمديان إحمداًبدي*

محمد إخوان**

الملخص

إنّ الإمام علي (ع) هو أعلى نموذج للقيادة الإسلامية بعد النبي الأكرم، فهو لم يتجاهل-قطّ- الحدود الدينية و الأخلاقية للسلطة السياسية بغية تحقيق أهدافه، و مزج بين ممارسة السلطة السياسية و أعلى تجليات القيم و الأخلاق الإسلاميتين. بعبارة أجلّ إنّ الرؤية التربوية و الإصلاحية عند الإمام علي (ع) للحكومة و السلطة السياسية، أضفت على أساليبه السياسية طابعا أخلاقيا و إنسانيا لا يمكن تحقيقه إلا بالإيمان و الأخلاق الصحيح. من أجل ذلك، تتزين السياسة العلوية (ع) بأشسّ قيّمية قويمية، وأنّ اتّخاذها أساساً للسياسية و الحكومة يكون لها تأثيرٌ كبيرٌ في تحسين ظروف حياة الإنسان. لهذا، فإنّ الهدف الذي يبحث عنه هذا المقال هو دراسة أسس السياسة في مرآة كلام الإمام علي (ع) في مختلف المصادر و خاصة في نهج البلاغة، و ذلك بأسلوب مكثبي و في إطار وصفي تحليلي.

الكلمات الرئيسية: الإمام علي (ع)، نهج البلاغة، الأسس، الحكومة، السياسة.

* طالبة الدكتوراه فرع معارف نهج البلاغة بجامعة كاشان (الكتاب المسؤول) (ak. ahmadian@yahoo.com)

** أستاذ مساعد بجامعة كاشان (akhavan.mohammad89@gmail.com).

المقدمة

إنَّ علي بن أبي طالب (ع) هو الذي وضع كل المعايير والأحكام الدينية والأسس الأخلاقية على رأس قائمة سياساته التنفيذية في فترة حكمه، وتعامل دون اللجوء إلى الخيانة والتساهل السياسي تعاملًا خلَّفَ نموذجاً حقيقياً للحكومة الإسلامية في التاريخ كله، وإنَّه لم يضحِّ المعايير الأخلاقية والأسس الإسلامية، من أجل إبقاء السلطة والحكومة. إنَّ الإمام علي (ع) في بداية حكمه ولَّى اهتماماً بالغاً بخرق البنى والأسس التي كانت حاکمة على المجتمع، وطبَّق المعايير الإسلامية على المجتمع؛ فهو كان يريد الحكم لتحقيق الأهداف المقدسة والإلهية، وليس لتحقيق الأهداف المادية. فالْحُكْم الذي مارسه الإمام علي (ع) كان حكماً مطابقاً للموازين الشرعية، ولم يحدث فيه أقلُّ خلل، فهو لم يرتكب أدنى خطأ في تأسيس الحكومة، وجعل الأسس الشرعية هي المعيار لتأسيسها، لهذا كان يعارض (ع) طوال حكمه أيَّ عملٍ من شأنه أن يمسَّ الأسس والأخلاقيات الإسلامية، لأنَّ هدفه النهائي كان تطوير حياة الناس وتربيتهم تربية إسلامية، وتأسيس المدينة الفاضلة. بعبارة أخرى، إنَّ السياسة في فكر الإمام علي (ع) تعني الهداية والقيادة، ومن منظار الإمام (ع) إنما تنجح السياسة إذا كانت واضحة الأهداف والمعالم، وكان مؤسَّسة على أسس واضحة وقيمة، لهذا وبسبب أهمية الموضوع يهدف هذا البحث إلى البحث في تلك الأسس. هذا وهناك الكثير من الكتب تناولت قضية أسس السياسة العلوية (ع) بشكل أو بآخر منها كتاب: الإمام علي (ع) والقضايا السياسية تأليف محمد دشتي، وكتاب: الفكر السياسي في الخطاب العلوي (ع) تأليف عدد من الكتاب، وكتاب: السياسة العلوية من منظار سماحة قائد الثورة، تأليف افشين احمدي وسيامك يزدان شناس، وبحث بعنوان: أسس الحكومة والسياسة في نهج البلاغة للدكتور علي اكبري ومحمد رضا رستمي، وبحث بعنوان: أسس وسمات الحكومة العلوية، للدكتور جهان بخش ثواب، لكن تنصب مساعي هذه الدراسة على التطرق إلى مختلف جوانب كلام الإمام علي (ع) بشكل شامل وفي مختلف المواقف وفقاً لمختلف المصادر.

أسس السياسة العلوية (ع)

لا تمثل الشمولية ضرورة لتأسيس الحكومة الإسلامية، فالحكومة الإسلامية تحاول لتحقيق الحق والعدالة وتنفيذ الدين و ضمان الحريات الاجتماعية والسياسية، حتى يتعالى الفرد ويتطور المجتمع في ظلها. لهذا فإنَّ السياسة في الفكر العلوي (ع) هي التدبير الإلهي الحكيم للقضايا بغية تنظيم حياة الناس وإصلاحها وتوفير الأرضية لنموها وتطورها وتحقيق سعادة الدارين. على هذا وبما أنَّ الهدف الأسمى لهذه السياسة هو تنمية الكماليات الإنسانية، يجب بناءها على أسس قومية، حتى تتحقَّق أهدافها السامية، ونريد بالأسس تلك

المبادئ التي تفقد السياسة العلوية معناها من دونها، ولا تبقى لها هوية ولا عنوان، ومن خلال دراسة سياسة أمير المؤمنين (ع) يمكننا معرفة تلك الأسس على النحو التالي:

١. إحياء الدين وتنفيذه

إحدى أهداف تأسيس الحكومة الإسلامية هي إحياء الدين وتنفيذ الحكم الإلهي (الرضي، ٢٠٠٨، الخطبة ١٣١، المقطع ٣: ١٧٤). إنَّ حفظ الدين وتنفيذ أحكامه كان يشكل حاجساً قوياً لدى الإمام علي (ع) ومن الأدلة الرئيسية لغرض الطرف عن حقه في تولِّي الخلافة، كما قال (ع): كان الناس حديثي العهد بالدين وكان الدين مثل الظرف المليء بالحليب، وكان أقل غفلة من شأنه أن تُكسَّره، و تقلَّب الأمور رأساً على عقب (ابن أبي الحديد، ١٩٥٩: ١/ ٣٠٨). فكان جُلُّ اهتمام الإمام (ع) بعد تولِّي الخلافة هو إحياء القيم الدينية وإنقاذ الناس من الجاهلية التي كانوا يعانون منها، فالإمام بعد بيعة أهل المدينة أكد على هذا الأمر في أول خطبة له (الرضي، ٢٠٠٨، الخطبة ١٦، المقطع ٢: ٣٨).

إنَّ من يقارن بين سيرة الإمام علي (ع) وسياسته وبين سيرة النبي الأكرم وسياسته سيعرف بأنه لا فرق بين الاثنين (مدرس وحيد، ١٩٨٣: ١٢/ ٢٥٦). على هذا كان حفظ الدين وإحياء وتنفيذ القيم الإسلامية يأتي على رأس اهتمام الحكومة العلوية في مجال الممارسات السياسية، وإنَّ الإمام لم يقم بأي عمل إلا إذا كان موافقاً للإسلام والسنة النبوية، فوضع أول أسس لسياسته وفقاً للدين وبذل كل ما بوسعه لحفظ الدين، لهذا إنَّ السياسة العلوية (ع) بُيِّت على أساس إحياء الإسلام وتنفيذه، وأنَّ تحقيق الأسس الأخرى لم تكن تحظى بهذه الأهمية.

٢. بثُّ روح العدالة

إنَّ تحقيق العدالة هو الهدف الأسمى للسياسة الإسلامية، ويجب أن يكون الحاكم عادلاً ويضع السلوك الاستبدادي جانبا، فالعدالة لها مكانة رفيعة أرسل الله الأنبياء لتحقيقها: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد/ ٢٥). هذا و أنَّ العدالة تُعدُّ معياراً لتحديد أفضل عباد الله (الرضي، ٢٠٠٨، الخطبة ٨٧، المقطع ٨: ١٠٤).

إنَّ السياسة الإلهية العادلة، تُوصِّل المجتمع إلى شاطئ الأمان، وتمهد الطريق لتطور حياة الناس؛ ففي ظل العدالة يتحقق الأمن والهدوء والراحة، لهذا يعبر عنها الإمام علي (ع) بـ «قرة عين الحكومة» (المصدر نفسه: الرسالة ٥٣، مقطع ٥٨: ٤٠٨). فـ «قرة العين» بمعنى راحة العين. قرة تعني القرار والهدوء، وإنَّ الإنسان الذي يغضب ويتعرض لفقدان الأمن والهدوء، تتجول عيناه هنا وهناك ولا يجد الراحة، لكن عندما تتوفر الهدوء والأمن للإنسان،

يجب إتباعه، والاستمرار على طريقه (المصدر نفسه: الخطبة ١٦٠، المقطع ٣٥: ٢١٤).

إنَّ الإمام علي (ع) يعتقد أنَّ الأغنياء لا يمكن أن يقوموا بجمع الأموال إلا بتجويج الفقراء (المصدر نفسه: الحكمة ٣٢٨: ٥٠٤). لهذا، فهو يوجِّه لوما شديدا لوالي البصرة عثمان بن حنيف الذي قبل دعوة أحد تجار البصرة، و بعد دعوته إلى الرهد يقول: «أَمَا بَعْدُ، يَا بَنَ حُنَيْفٍ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِئْتِي أَهْلَ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَادُّبَةٍ، وَمَا فَاسَّرَعَتْ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الْإِلْوَانُ^١، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ^٢، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوًّا، وَغَيْبُهُمْ مَدْعُوًّا. فَانظُرْ إِلَى مَا تَقْضِيهِ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِطْهُ^٣، وَمَا أَبْقَنْتَ بِطَيْبِ وَجْهِهِ فَنَلَّ مِنْهُ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا، يَتَّقِدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ. أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمْرِيَّةٍ^٤، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيَّةٍ^٥. أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعْيُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، [وَعَفَّةٍ وَسَدَادٍ]^٦» فهو يطلب من أتباعه وخاصة القادة الدينيين والسياسيين مساعدته في التقوى (المصدر نفسه: الرسالة ٤٥، المقطع ٤: ٣٩٤).

يعبر هذا الموقف عن قاعدة مهمة حول القيادة الدينية والسياسية في المجتمع، فالقادة السياسيون والروحيين يلعبون دورا مهما في ترشيد عقيدة المجتمع وأخلاقهم، هذا وأنَّ مكانة القادة الدينيين ومسئوليتهم كبيرة جدا، وأنَّ قيام المدراء والقادة بجمع الثروة عمل غير مشروع، وأنَّ هذا العمل أكثر قبحا بالنسبة للقادة الدينيين، لأنَّ ذلك يؤدي إلى ابتعاد الناس عن الدين.

٤. الحب والمحبة

إنَّ علاقة الوالي والناس في السياسة الإسلامية مبنية على الحب و العطفوة؛ يحب الحاكم الإسلامي الناس و ينظر إليهم نظرة مشفق، و واضح أنَّ هذه النظرة تتعارض مع الترفُّه و غصب حقوق الناس (المصدر نفسه: الرسالة ٥٣، المقطع ٨: ٤٠٢)، و اللبونة في التعامل معهم من الأسس الأخلاقية عند القادة، و شدَّد عليها الإمام

تهدأ عيناه، هنا نجد مفهوم «قرة العين» (طريحي، ١٩٩٧: ٣/ ٤٥٦-٤٥٥).

إنَّ العدالة تُعدُّ إحدى الأسئلة البارزة في الفلسفة السياسية، وأنَّ أكثر الأسس السياسية و الحكومية جوهرية عند الإمام علي (ع) لا يمكن من دونها فهم حكومته فهما صحيحا. فالعدالة تعنى إزالة اللامساواة في المجتمع، و منع التمييز، و أن يكون الحكم بيد الصالحين، و أن يأخذ الصالحاء بزمام الأمور. لا تعد العدالة في حكم الإمام (ع) و سيرته أمرا أخلاقيا فحسب، بل تُعدُّ أساس الإدارة السياسية و الاجتماعية، إذ هو يعتبرها أساس سياسته و معيارها (الأمدي، ١٩٨٩: ٣٣١). إنَّ العدالة هي صمام الأمن للحكومة و المواطنين (المصدر نفسه: ٣٣٩)، و علامة الحق و مزيلة الأهواء النفسية (الرضي، ٢٠٠٨، الخطبة ٨٧، مقطع ٨: ١٠٤). يوصي الإمام (ع) الولاة بالعدل في أسلوب النظر و إلقاء التحية على الناس (المصدر نفسه: الرسالة ٤٦، المقطع ٣: ٣٩٦؛ الرسالة ٢٧، المقطع ١: ٣٦٢). إنَّ العدالة عند الإمام تصل درجة لا يُسمَحُ فيها التعامل السيئ حتى مع البهائم (المصدر نفسه: الرسالة ٢٥، المقطع ١٠: ٣٦٠).

على هذا، نجد للعدالة مكانة جوهرية و رئيسية في السياسة العلوية (ع) و على الدولة الإسلامية ان تنشر العدالة في مختلف الجوانب؛ ذلك أنه من دون العدالة يتفكك المجتمع أخلاقيا، و يتجه نحو الفساد، لهذا يعتبر الإمام (ع) تنفيذ العدالة الإسلامية أهم أهدافه الحكومية، و ينظم كل خطته متناسقة مع هذا الهدف.

٣. الحياة البسيطة

من أهم أسس الحكومة الإسلامية هي البساطة في حياة القادة و الحكام الدينيين، تؤكد التعاليم الإسلامية على ابتعاد القادة و المفكرين والسياسيين الدينيين عن زخارف الدنيا و التلُّهث وراء الرفاهية، و أن تكون ظروف حياة المسؤولين في المجتمع، قريبة من ظروف حياة الفقراء، و على المسؤولين أن يتخذوا البساطة أسلوبا في الحياة، كي يحبه الناس، ذلك أنَّ هذا الأسلوب يجعل الفقراء و البؤساء أن يشعروا بأنه لا فرق بين الناس و أن لا يثوروا على الحكام (المصدر نفسه: الخطبة ٢٠٩، المقطع ٤: ٣٠٦). ويدرك الأثرياء صدق المسؤولين، و يبأسون من لفت انتباههم عبر الارتشاء. إنَّ العدالة تقلع جذور التمييز و الفساد الإداري و الاقتصادي، و بالتالي تعد أفضل ثمرات ممارسة الحكم. إنَّ أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة و بعد الحديث عن البساطة التي تبلورت عند عدد من الأنبياء مثل موسى و داود و عيسى (ع) تحدَّث عن حياة النبي الأكرم البسيطة، الذي رحل عن الدنيا بسيطا و لم يبين القصور الفخمة (المصدر نفسه: الخطبة ١٦٠، المقطع ٣٤: ٢١٤). و يؤكد أنَّ مثل هذا القائد في المجتمع الإنساني يُعدُّ من النعم الإلهية الكبيرة، الذي

١- المأدبة - بفتح الدال وضمها -: الطعام يصنع لدعوة أو عرس.

٢- تُسْتَطَابُ لَكَ: يطلب لك طيبها.

٣- الالوان: المراد هنا أصناف الطعام.

٤- الجِفَان - بكسر الجيم -: جمع جفنة وهي القصة.

٥- عائلهم: محتاجهم.

٦- مجفون: أي مطرود، من الجفاء.

٧- قَصْمٌ - كسح -: أكل بظرف أسنانه، والمراد الاكل مطلقاً، والمَقْضَم - كمتعد -: المأكل.

٨- أَلْفِظْهُ: أطره.

٩- الطِمْر - بالكسر -: الثوب الخلق البالي.

١٠- طَعْمُهُ - بضم الطاء -: ما يطعمه ويفطر عليه.

١١- قُرْصِيَّةٍ: تبنية قرص، وهو الرغيف.

١٢- السداد: التصرف الرشيد، وأصله الثواب والاحتراز من الخطأ.

المسؤولون فيها عناية فائقة بتهديب النفس، لهذا يُعدُّ بناء الذات و الابتعاد عن الرذائل الأخلاقية إحدى أركان السياسة الإسلامية، إذ تظهر جليا في السياسة العلوية (ع)، لهذا يأمر أمير المؤمنين، في رسالته إلى مالك الأشتر بالتقوى أولا (الرضي، ٢٠٠٨، الرسالة ٥٣، المقطع ٢: ٤٠٢). و يرى أن أفضل عباد الله هم الذين أعانهم الله في الجهاد مع أنفسهم: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ» (المصدر نفسه: الخطبة ٨٧، المقطع ١: ١٠٢).

٦. الديمقراطية

تشكل نوع العلاقة بين الحكومة والشعب إحدى أهم القضايا الجوهرية في كل الحكومات و يمكن دراستها من زاويتين؛ الأولى مدى شعبية الحكومة عند الناس، و الثانية، كيفية علاقة الحكومة بالناس.

فيما يتعلق بشعبية الخلافة العلوية (ع) و قبول الجميع لها، فإنه شبه زيادة الناس يوم البيعة بعرف الضيع (المصدر نفسه: الخطبة ٣، المقطع ١٢: ٣٠). و فيما يتعلق بكيفية تعامل الإمام علي (ع) مع الناس، نشاهد ذروة الديمقراطية، لهذا من منظار السياسة العلوية تُعدُّ علاقة الحكام بالناس، أي الحياة معهم و بينهم و معرفة مشاكلهم عن كثب، من الأسس المهمة لسلوك الحكام الاجتماعية، لهذا فهو (ع) يوصي مالك الأشتر و يقول: «فلا تطولن احتجاجك عن رعيتك» (المصدر نفسه: الرسالة ٥٣، المقطع ١٢٠: ٤١٦). و أوصى والي مكة: «وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيْرٌ إِلَّا لِسَائِنِكَ وَ لَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ وَ لَا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنِّ لِقَائِكَ بِهَا» (المصدر نفسه: الرسالة ٦٧، المقطع ٢: ٤٣٢).

كان يتجنب الإمام (ع) أي عمل من شأنه أن يسخط الناس، و كان يأمر الولاة بأن يبنوا علاقات و طيدة مع الناس و يحلوا مشاكلهم، و كان يرفض دائما خشونة المسؤولين في الإجراءات الإدارية في التعامل مع الناس، لهذا يمكن القول بأن إحدى أكثر الحكومات شعبية طوال التاريخ هي حكومة الإمام علي (ع). إنها حقيقة عظيمة تظهر عند رجوعنا إلى التاريخ و السيرة العملية و الكلامية للإمام (ع).

٧. الصدق و الصراحة

إن السياسة التي اتبعها أمير المؤمنين (ع) هي سياسة مبنية على الصدق و الصراحة، إنه كان يتحدث مع الناس بصدق، و يبين مواقفه بوضوح و يقول: على القائد الإسلامي أن يتحدث مع الناس بصراحة (المصدر نفسه: الخطبة ١٠٨، المقطع ١٢: ١٤٢؛ الخطبة ١٥٤، المقطع ٤: ٢٠٢). قال الإمام (ع) في بداية حكمته و في أول خطبة له «وَاللَّهِ مَا كُنَّمْتُ وَ شَمَمْتُ، وَ لَا كَذَّبْتُ كِذْبَةً» (المصدر نفسه: الخطبة ١٦، المقطع ٤: ٣٨). لا يتحقق في الفكر السياسي العلوي (ع) إصلاح الأمور و تنظيم الأعمال تنظيما صحيحا إلا في ظل الصدق و

(ع) (المصدر نفسه: الرسالة ٢٧، المقطع ١: ٣٦٢؛ الرسالة ١٩: ٣٥٦).

يُعدُّ حُبُّ الحاكم سببا مهما للدلالة على ثبات الحكومة واستقرارها، وإن غاب الحب يصعب على الحاكم قيادة المجتمع، و تربية مجتمع ملتزم بالقانون، و إذا لم يتم تنفيذ العدالة و المساواة في المجتمع، على الحاكم إبداء المحبة للناس التي تجعل الناس يطيعون قائدهم (مطهري، ١٩٨٨: ٦٨) من جهة أخرى إنَّ حُبَّ الإمام للمكوّنات غير الدينية تدلُّ على رفض العنصرية و التعصبات القومية و الدينية.

يمكن بناء المجتمع بالقوة و خلق الأجواء المرعبة، و إدارة الحكومة بالبنديقية، لكن الأسس تبقى هشة، لهذا على الحاكم أن يستخدم المحبة، و التعامل الأبوي في سبيل تحقيق أهداف الحكومة و هدايتها و توجيهها و ازدهارها.

٥. التقوى و بناء الذات

إنَّ للسلطة و ساوس لا يأمن منها أفضل الناس، لهذا نحتاج إلى حواجز داخلية و خارجية، حتى لا يدخل الإنسان إلى هذا الوادي الخطير، من هنا كان الإمام (ع) يوصي الناس و المسؤولين و الولاة بالتحلي بالتقوى باعتبارها عاملا مهما تساعد على التربية و بناء الفرد و المجتمع، و أنه أقوى ضمان لتطور المجتمع و تنميته، و سلامة حياة الدنيا و الآخرة، إنَّ هذه التوصيات المتكررة بكثرة في التعاليم في الأحاديث العامة، و التصريحات السياسية و المراسيم الحكومية و الإدارية عند الإمام (ع) تعبر عن تلك الحقيقة كما قال (ع): «أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ طَاعَتِهِ فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَدًا وَ الْمُنْجَاةُ أَبَدًا» (الرضي، ٢٠٠٨، الخطبة ١٦٦، مقطع ٦: ٢١٦). يوصي الإمام كل ولاة الدول الإسلامية، ببناء الذات و ضبط الأهواء النفسية حتى تتحقق السياسة التوحيدية، ذلك لان المجتمع يتكوّن من الأفراد و لا يتكون المجتمع بغير بناء الفرد و بناء الذات، فعلى القادة و حكام المجتمع مراقبة سلوكهم و عملهم و عدم التغافل عن بناء الذات، فإنَّ أفضل تربية يقوم بها القادة هي التربية السلوكية و العملية، و ليست الكلامية و اللغوية (المصدر نفسه: الحكمة ٧٣: ٤٥٤). و لو دعت النفس الإنسان إلى عمل حرام، فهي تشبه الحصان الذي لا يعرف طريقه و هو يقود الإنسان، و هنا يجب السيطرة عليه (المصدر نفسه: الخطبة ١٦، المقطع ٤: ٣٨). لهذا لو لم تُلبَّ مطالب النفس، فانها تعود شيئا فشيئا على الصبر في المصائب و هذا العمل يمثل الجهاد مع النفس، و التقوى، التي لها دور كبير في تحقيق سعادة الإنسان، ذلك لأنه كما قال الرسول الأكرم: «إنَّ النفس هي ألد أعداء الإنسان» (فيض الكاشاني، ١٩٩٧: ٦/٥).

إنَّ الوقوع في شرك الأهواء النفسية و التغافل عن بناء الذات يعني دمار الحياة، فالسياسة السليمة هي تلك السياسية التي يبذل

(ع): اعلموا أنّ لكم عندنا ثلاثة حقوق، و ما دتم معنا، لا نسلبكم إياهن، لا نمنعكم من المساجد، التي يذكر فيها اسم الله، و لا نحرمكم من العوائد العامة والغنائم ما لم تلجئوا للحرب، و لا نقاتلكم ما لم تحاربونا (الطبري)، ٢٠٠٨: ٥ / ٧٣؛ ابن الأثير، ٢٠٠٧: ٣ / ٣٣٥؛ النويري، ٢٠١٧: ٢٠ / ١٦٥).

إنّ الإمام علي (ع) كان النموذج الأسمى لاتباع الحق، و كان يحاول أن يؤسس مجتمعا يدور حول الحق، و أن يشكل حكومة بمحورية القانون. رُوِيَ أنّ الإمام عزل أبا الأسود الدؤلي من أصحابه الطيبين و الوفيين و من العلماء البارزين، لأنه رفع صوته على شخص (ابن أبي جمهور، ١٤٠٥: ٢ / ٣٤٣؛ النوري، ١٤٠٨: ١٧ / ٣٥٩). كانت تدور السياسة العلوية حول محور احترام حقوق الإنسان، و أثار ذلك دهشة الجميع، كما يقول جورج جرداق: في خطبة الإمام علي (ع) نثر على أمور تعتبر بلا ريبه أعلى و أسمى من بنود الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (جرداق، ١٩٩٦: ٣ / ١٣٤). إنّ محورية القانون في المدرسة العلوية (ع) تعني أنّ محور العلاقات الإنسانية و أساسها هو الالتزام بالقانون المتمحور حول التوحيد، و أنّ كل الأمور تابعة لحقوق الله.

٩. الاعتدال والوسطية

من الأسس الجوهرية في السياسة العلوية (ع) هو أصل الاعتدال و الوسطية و الابتعاد عن الإفراط و التفريط في اتخاذ القرارات و الممارسات السياسية، و يعتبر الإمام علي (ع) أيّ شكل من أشكال الإفراط و التفريط و الانحراف إلى اليمين و اليسار ضلالاً (الرضي، ٢٠٠٨، الخطبة ١٦، المقطع ٧: ٤٠). و يعتبر أهل البيت (ع) أفضل معيار للاعتدال (المصدر نفسه: الحكمة ١٠٩: ٤٦٢). كما يعتبر المعتدلين أفضل أتباعه (العسكري البغدادي، ١٤١٣: ٥؛ الطبري - الأملي، ٢٠٠٥: ٢ / ٤). بعد أن تولّى الإمام زمام الأمور، وضع لبنات سياسته على الاعتدال و الوسطية، و لم يَمِمْ ل في سلوكه السياسي نحو الإفراط و التفريط أبداً، بل حاول أن يتجنّب من الإفراط و التفريط، و أن يتخذون الاعتدال سبيلاً، كما أمر أصحابه الذين تطرفوا في مواجهة العدو باتخاذ الاعتدال (الرضي، ٢٠٠٨، الخطبة ١٩٠، المقطع ١٧: ٢٦٦). ذلك أنّ أحب الأعمال لديه في الساحة السياسية هو الموقف المعتدلة (المصدر نفسه: الرسالة ٥٣، المقطع ٢٠: ٤٠٤). هكذا و من خلال دراسة السيرة العلوية (ع)، يظهر أنّ أحد أهم أسس السياسة السليمة هو أصل الاعتدال الذي تنظم الأمور في ظلّه.

١٠. الوفاء بالعهد

يُعتبر الوفاء بالعهد و الابتعاد عن الخيانة، من الأسس الرئيسية لسلوك الحكام في المدرسة العلوية (ع) (المصدر نفسه: الرسالة ٥٣، المقطع ١٣٣: ٤١٦). فلو انتهكت حرمة الأمانات و أصبح الإيفاء بالالتزامات

الصراحة، فـ«الصدق صلاحٌ كُلُّ شَيْءٍ» (الأمدي، ١٩٨٦: ٢١٩) أينما ظهر الكذب، ظهرت معه أنواع الفساد و الجرائم، فـ«تَمَرَّةُ الكَذِبِ المَهَانَةُ فِي الدُّنْيَا وَ العَذَابُ فِي الآخِرَةِ» (المصدر نفسه: ٢٢٠) و كان الإمام (ع) دائم التأكيد على معيار الصدق في اختيار الولاة (الرضي، ٢٠٠٨، الرسالة ٥٣، المقطع ٣١: ٤٠٦).

ليس من العجيب إذا خاب الناس من قرارات المسؤولين و ممارساتهم، و أن يتصوروا أنّ انحرافا ظهر في الطريق، أو أنّ هناك ظلماً تُمارَسُ عليهم، كان الإمام علي (ع) يوصي دائما أن يقوم المسؤولون و المدراء بإصهار أعدائهم للناس (المصدر نفسه، الرسالة ٥٣، المقطع ١٣٠: ٤١٦). إنّ الإصهار مأخوذ من الصحراء، و يعني ذلك أنّه يجب أن يكون الاعتذار و إبراز الأدلة كالصحراء واضحة للجميع (ابن أبي الحديد، لاتا: ١٧ / ٩٨).

يتصور الكثير أنّ المصلحة تكمن في إخفاء الحقائق عن الجماهير، حتى لا يصدر ردة فعل غير متوقعة، بينما تقتضي المصلحة الحقيقية أن تقوم القادة و المسؤولون بكشف الحقائق للناس-إلا في حالات فذة وخاصة- و أن يدخل الناس الساحة بوعي، فإنّ التعتيم الإخباري من أسلوب المستبدين، الذين لا يَزُونَ سوى مصالحهم، فالقادة الإلهيون الشعبيون يشكل إنقاذ الناس هدفاً حيويّاً لهم، و يحاولون دائماً أن ينقلوا لهم الحقائق كما هي، و أن يحترموا الناس و يوطّدوا علاقاتهم بهم (مكارم شيرازي، ١٩٩٦: ١ / ٥٤٤). الاستثناء الوحيد الذي كان يؤكد عليه الإمام علي (ع) هو الأسرار العسكرية و الحربية (الرضي، ٢٠٠٨، الرسالة ٥٠، المقطع ٢: ٤٠٠).

إنّ الصدق السياسي هو ان تخرج الأعمال و الشعارات و الأهداف و التوجهات من صميم الإيمان، و ذلك بغية الحصول على رضا الله، و الابتعاد عن أي نوع من الكذب و الإخفاء، و أن لا يصير «الحق» ضحية الصراعات التي تدور حول الأنانية و المصالح الشخصية، فإنّ أمير المؤمنين كان يحاول دائماً أن يكون صامداً في اتخاذ سياساته، لأنّ الصراحة و الشفافية هي التي تنتج الإصلاحات و تسبّب التنمية و التطور.

٨. محورية الحقوق

إنّ الإمام علي (ع) جعل - في أول خطبة بعد تولّيه الحكم- التوحيد أساساً للحقوق (المصدر نفسه: الخطبة ١٦٧، المقطع ٢: ٢٢٦). بعبارة أخرى إنّ التوحيد يشكل أساس احترام الناس و تكريمهم، و كلّما آمن المرء بالله و التزم بحلاله و حرامه يُحترَمُ حقوقه (دلشاد طهراني، ٢٠١٥: ٨٣).

جعل الإمام علي (ع) بعد توليه الحكم كل الأمور تتمحور حول الحق، و عندما عارضه الخوارج و ارتكبوا الأفعال البشعة و أثاروا الفوضى، حاول الإمام علي (ع) أن يعرف لهم حقوقهم من خلال إيضاح الحدود القانونية، و يجعلهم يلتزمون بالقانون، كما قال لهم

١٢. ترسيخ الوحدة الإسلامية

يشكل ترسيخ الوحدة الدينية إحدى الأسس الرئيسية في سياسة الإمام علي (ع) ومن أهم أولوياته. يقول (ع): في الأمة الإسلامية لا أحد أكثر اهتماماً مني بتحقيق وحدة أمة محمد (ص) وبناء العلاقات بين الناس (المصدر نفسه: الرسالة ٧٨، المقطع ٣: ٤٤٠). كان لحفظ الوحدة في المجتمع أهمية عند الإمام إذ اتخذ الصمت في مواجهة حقه المسلوب لربع قرن من الزمن، واختار الجلوس في البيت (المصدر نفسه: الخطبة ٣، المقطع ٣: ٢٨). لهذا في المدرسة العلوية (ع) تم إيضاح ترسيخ الوحدة بصفتها رسالة قائد المجتمع: «و ليجمع شمله» (المصدر نفسه: الخطبة ١٠٨، المقطع ١٢: ١٤٢).

إن الإمام علي (ع) يعتبر القرآن والسنة النبوية أهم العوامل التي تخلق الوحدة عند بروز الخلافات وظهور الشبهات (المصدر نفسه: الرسالة ٥٣، المقطع ٦٤: ٤١٠)، وكان يؤكد قائلاً: الرزوا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذة من الغنم للذئب، إلا من دعا إلى هذا الشعار، فاقتلوه ولو كان تحت عمامي (المصدر نفسه: الخطبة، ١٢٧، المقطع ٦: ١٧٠). فالفرقة تدمر المجتمع، إذ أمر الإمام بقتل من يثون الفرقة، حتى لو كانوا يحظون بدعمه.

١٣. تحسين الوضع الاقتصادي

من منظار الإمام علي (ع) لا يتطور المجتمع الغارق في الفقر والعلاقات الظالمة الاقتصادية، فهو (ع) يرى الرفاهية وسيلة لتنظيم أمور الناس (المصدر نفسه: الرسالة ٥٣، المقطع ٧٣: ٤١٠). ويرى أن المشاكل المادية تمهد أرضية الأضرار المعنوية، وأن تحسين الوضع الاقتصادي إلى جانب القناعة، يوفر أرضية تطور الإنسان، كما قال (ع): الفقر طرف من الكفر (المجلسي، ١٤٠٣: ٧٥/١٢) كما يرى الإمام (ع) تحسين الوضع المادي والنمو الاقتصادي في المجتمع من أسس سياسته، ويقول: إن حركم عليّ هو زيادة الأموال وإيصالها لكم (الرضي، ٢٠٠٨، الخطبة ٣٤، المقطع ١٠: ٦٠).

كان الإمام (ع) يقوم بتوفير احتياجات الناس، فقام بخطوات مهمة في سبيل إزالة الفقر وتوفير معاش الناس، كما قال (ع): كل من يعيش في الكوفة يجب أن يكون في الرفاهية، حتى أضعف طبقات الناس لا بد أن يتناولوا خبز القمح وأن يمتلكوا البيوت ويشربوا من الفرات (ابن شهر آشوب، لاتا: ٢/ ٩٩).

هذا وبما أن الإنسان مكون من الجانب المادي والروحي، وأن توفير الاحتياجات المادية يشكل مقدمة للتعالى المعنوي، وبما أنه يجب أن تكون الكماليات الفردية والاجتماعية هدفاً للسياسة، فإن تحسين الوضع الاقتصادي في المجتمع يُعد من الأسس المهمة في السياسة العلوية (ع).

ضعيفاً، سوف تضعيع الأسس الرئيسية التي تضمن بقاء المجتمع، و عرف الناس طوال تاريخ حياتهم الاجتماعية، و من خلال التجربة، أنه لا شيء أكثر أهمية لبقاء المجتمع من الالتزام بالتعهدات. من جهة أخرى إن الالتزام بأي عهد هو الالتزام بعهد الله، و لا ينكث العهد مع الله إلا الجاهل (المصدر نفسه: الرسالة، ٥٣، المقطع ١٣٥: ٤١٨). يرى الإمام علي (ع) أن الوفاء بالعهد سبب الائتلاف (الأمدي، ١٩٨٧: ٤٣٥). و أن أداء الأمانة و الوفاء بالعهد من أوصاف المؤمنين (المصدر نفسه: ٨٦). هذا الأمر يبرز نفسه في السيرة العلوية بوضوح، إذ عندما قبل الإمام -رغم ميوله الباطنية- موضوع «التحكيم»، طالبه البعض أن يضربه بعرض الحائط، لكن رغم الضغوطات التي مورست عليه، لم ينقض عهده مع أعداءه و هو معاوية (المنقري، ١٤٠٤: ٥١٤).

فيما أن الإنسان كائن اجتماعي و يتمتع بالعلاقات الاجتماعية، فإنه يعيش في أسوار الالتزامات الإنسانية و الاجتماعية، و كلما أصبحت الإنسانية و الفطرة الإلهية أقوى في كيانه، كلما زادت الالتزامات في كيانه، لأن أساس الحياة الإنسانية و السلوك الديني مبني على الالتزامات الدينية و الإنسانية و الاجتماعية، و أن التزلزل في هذا الأمر يقضي على كل شيء.

١١. حكم الجدارة

إن اختيار القوات الصالحة للقيام بالمهام في السياسة الإسلامية يُعد أمراً أساسياً، لأن غاية السياسة الإسلامية هي سمو الفرد و المجتمع، فللحصول على مثل هذه الغاية يجب اختيار الأفضل عند اختيار الحكام. في الفكر السياسي لأمر المؤمنين (ع) و سيرته السياسية كانت الجدارة تعد المعيار الرئيس في كل المجالات، و كان يجب القيام باختيار الأفضل في كل منصب و فقا لإمكانات الفرد حتى تستقيم الأمور و تُدبّر الأمور بأحسن شكل، بعبارة أخرى إن سيادة الجدارة يؤدي إلى تقوية الدين و تنظيم الأمور و إصلاح العامة. يقول الإمام علي (ع) لمالك الأشتر: اختر لأمرك ذلك الوالي الذي لا يخاف انجاز الأعمال الكبيرة و لا تحيره كثرة الأعمال (الرضي، ٢٠٠٨، الرسالة ٥٣، المقطع ٩٣: ٤١٢). فلو جاء الاختيار في محله، تصلح الأمور و الأعمال. إن الإمام (ع) في عهده إلى مالك الأشتر يعلمه سبيل اختيار الأفضل لتولي أهم المسؤوليات، كتولي أمور العسكر (المصدر نفسه: الرسالة، ٥٣، المقطع ٥١: ٤٠٨) و القضاء (المصدر نفسه: الرسالة ٥٣، المقطع ٦٥: ٤١٠)، و يعلمه كيف يجعل سيادة الجدارة هي الأساس. إن الإمعان الذي يبذله الإمام علي (ع) في اختيار الولاة يدل على الأهمية الكبيرة للسياسة في النظام الإسلامية. فالحكومة و السياسة آيتان بيد الحاكِم الإسلامي يستخدمهما من خلال الولاة الجديرين بالأمر في سبيل الرقي بحياة البشر، فلو لم يتم الاهتمام بتلك القضايا، لم تتجح الأهداف السياسية السامية، بل قد تصبح معارضة للأهداف السامية.

١٤. التطور الثقافي

يتوقف تطور المجتمع على تطور ثقافته، إن احترام الحدود الإلهية و التربية الدينية و تطبيق قوانين الدين، يُعدُّ من أهم أسباب تأسيس الحكومة في الإسلام، التي تنتهي بالتطور و الإصلاحات التربوية. يعترف المفكرون الغربيون بهذا الأمر و يقولون: جعل الإسلام التربية و التعليم دستوراً (ديون بورت، ١٩٦٨: ١٣٤). إن التطور الثقافي و التربوي من المهام التي على القائد الإسلامي إنجازها، و لهذا بعدما تولَّى الإمام علي (ع) أمر الحكومة، أعلن أن نصيحة الناس و إحياء سنة نبي الإسلام من أهم واجبات الحاكم الإسلامي: «إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ الْإِبْلَاحُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالْإِجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ» (الرضي، ٢٠٠٨، الخطبة ١٠٥، المقطع ١٠: ١٣٦). هذا التطور الثقافي للفرد و المجتمع لا يتحقق إلا في ظل أرضية العلم و الوعي و توعية الناس في ساحة السياسة: «عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يُعْلِمَ أَهْلَ وَوَلَايَتِهِ حُدُودَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانَ» (الأمدي، ١٩٨٧: ٣٤١).

كما اعتبر الإمام علي (ع) التعليم و التوعية و التربية و التعليم من حقوق الناس «فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالتَّصِيحَةُ لَكُمْ وَ... تَعْلِيمُكُمْ كِتَابًا تَجَهَّلُوا وَ تَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا» (الرضي، ٢٠٠٨، الخطبة ٣٤، المقطع ١٠: ٦٠). لهذا فإن تعليم القضايا الدينية التي تتوقف سعادة الدارين على العمل بها، تُعدُّ من أسس الحكومة العلوية (ع) و من واجبات الحكام الجهرية، لهذا يأمر الإمام (ع) والي مكة: جالس الناس صباحاً و مساءً في مجلس عام و علّمهم القضايا الدينية و علّم الجاهل و حاور العلماء (المصدر نفسه: الرسالة ٦٧، المقطع ١: ٤٣٢). هذا و يُعدُّ الحفاظ على التقاليد و السنن الحسنة السابقة و خاصة اتباع السنة النبوية و أئمة الأطهار (ع) من العوامل المهمة التي تلعب دوراً في التطور الثقافي، و يعتبر الإمام (ع) الاهتمام بها واجباً على الحكام، لأنها تشكل إحدى أسس الإدارة: «وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ أَوْ أَثَرٍ عَنِ نَبِيِّنَا أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَتَقْتَدِي بِمَا شَاهَدْتَ مِنْهَا عَمَلْنَا بِهِ فِيهَا» (المصدر نفسه: الرسالة ٥٣، المقطع ١٥٢: ٤٢٠).

إن التربية التي يريد الإسلام تحقيقها تأتي على نوعين: الأول هي التربية التي تقوم بها كل المجتمعات لبلورة أهداف الحياة الطبيعية، و في هذا المجال تستخدم مختلف القيم؛ الثاني: التربية التي لها مستوى أعلى و هي إعداد الناس للحياة الطبيعية، و إعدادهم للحياة في ظروف معقولة، و تحقيق هدف أسمى يلي كل احتياجات الناس مادياً و معنوياً (جعفري، ١٩٩٧: ٩/ ٣٧). على هذا إن التربية السامية للناس في سبيل تحقيق الحياة المعقولة، تُعدُّ من أسس السياسة العلوية المهمة، هذا و أن التطور الثقافي و التعليم و التعلم و النصيحة، و تنفيذ الحدود الإلهية، و مجالسة العلماء، و الحفاظ على السنن الصالحة، و بالتحديد سنة رسول الله و الأئمة المعصومين، كل تلك القضايا تبرز نفسها في السيرة العلوية (ع).

١٥. الخضوع للنقد

في المدرسة العلوية (ع) تُعدُّ حرمة الإنسان و كرامته أساساً للعلاقات و التعاملات الحكومية، فهو (ع) منع و لاته من انتهاك المحرمات و ممارسة العنف مع الناس نهياً شديداً، و طالب المسؤولين أن يوفروا الأرضية الملائمة للتعبير عن المشاكل و أن يستمعوا للناس، و ذلك أن حرية الاعتقاد المؤسسة على التقاليد و خضوع المسؤولين للنقد، تضمن صحة المجتمع و إصلاح أمور الحكم (الرضي، ٢٠٠٨، الرسالة ٥٣، المقطع ١٠٨: ٤١٤). إن الإمام علي (ع) كان يرحب بنقد الحكومة نقداً بناءً و كان يطلب من المنتقدين أن يتحدثوا من دون خوف و وجل (المصدر نفسه: الخطبة ٢١٦، المقطع ٢٢: ٣١٦). على هذا ففي السياسة الإسلامية يُدلي الناس كافة- و لا فرق بينهم و بعيداً عن منصبهم و مكائنتهم في المجتمع- انتقادهم و اقتراحهم عبر السبل القانونية، و هذا من حقهم، و على المسؤولين أن يستمعوا إلى الناس و يسعوا إلى مشاكلهم.

١٦. تحقيق الحرية والأمن

يتبلور الأصل في السياسة التوحيدية بمحورية الله، و أن الناس يبلغون الكمال في ظل الأحكام الإلهية، على هذا لا مفهوم لسلطة الإنسان على الإنسان أو هيمنة السياسيين في السياسة التوحيدية، فالكل مسئولون و الناس يعدون عباد الله و يخضعون لأوامر الله (المصدر نفسه: الخطبة ٢١٦، المقطع ٢٤: ٣١٦). في هذه الحالة تتحقق كل أنواع الحريات، فالفرد حرٌّ و المجتمع حرٌّ و بإمكان الفرد و المجتمع أن يختاروا بحرية و أن يبلوغوا الكمال.

على سبيل المثال: أن أصل «الخضوع للنقد» هو من أسس السياسة العلوية (ع)، يأتي للتأكيد على حرية التعبير و المعتقد، و كما يقول الشهيد مطهري (رح): إن حرية المعتقد التي منحها المسلمون للشعوب الأخرى بعدما تولوا الحكم و لم يكونوا يتمتعون بها من قبل، تُعدُّ من الصفحات الناصعة في تاريخ الإسلام، و يؤسفنا القول بأن الأديان الأخرى تحمل سجلاً قاتماً في هذا الصدد (مطهري، ١٩٨٧: ١٢٦). كما تشير بيعة الناس مع الإمام (ع) (الرضي، ٢٠٠٨، الرسالة ١، المقطع ٣: ٣٤٢؛ الرسالة ٥٤، المقطع ٢: ٤٢٠) إلى النسبة الفاتقة للحريات الاجتماعية عند الناس في الحكومة العلوية (ع).

من جهة أخرى ووفقاً لحديث الإمام علي (ع) فإن إحلال الأمن يُعدُّ من أهداف إقامة الحكومة الإسلامية: «فَيَأْمَنُ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ» (المصدر نفسه، الخطبة ١٣١، المقطع ٣: ١٧٤). كما يُعدُّ إحلال الأمن من أهم وظائف الحكومة: «وَوَ تَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ» (المصدر نفسه، الخطبة ٤٠، المقطع ٢: ٦٤). إن المنظومة الفكرية للأمير المؤمنين تدلّ على أن العامل الرئيس لإحلال الأمن هو الإيمان بالله، و أن العنصر الرئيس لعدم الأمن هو عدم الإيمان به تعالى. «وَمَنْ خَافَ أَمِينَ» (المصدر نفسه، الحكمة ٢٠٨: ٤٨٠). إن الإسلام هو

١٩. دعم المحرومين والمستضعفين بشكل خاص

يُعَدُّ دعم المحرومين والمستضعفين في السياسة العلوية أمراً مهماً؛ ذلك أن الله اهتم بهذا الأصل (وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) (القصص/ ٥).

إنَّ الحكام هم خدام الناس، وعليهم أن ينظروا إلى الناس كأنهم ولاة النعمة لهم، ويؤكد الإمام (ع) على تفقد حال المحرومين والمستضعفين: «الله الله في الأيتام» (الرضي، ٢٠٠٨، الرسالة ٤٧، المقطع ٣: ٣٩٨). «الله الله في الطبقة السفلى» (المصدر نفسه: الرسالة ٥٣، المقطع ١٠١: ٤١٤).

إنَّ الإمام يعتبر الدفاع عن الضعفاء إحدى أسباب مقبولية الحكومة لدى الناس (المصدر نفسه: الخطبة ٣، المقطع ١٧: ٣٠). هذا وأنه كان يولي اهتماماً بالغاً بالبوساء، كما أمر بعد مشاهدته سائلاً مسيحياً أن يُعْطَى له مالا من بيت المال (الحر العاملي، ١٤٠٩: ١٥/ ٦٦) فضلا عن هذا كان الإمام (ع) يؤكد على اهتمام الحاكم بأمر المحرومين في المجتمع (الرضي، ٢٠٠٨، الرسالة ٥٣، المقطع ١٠٨: ٤١٤). «وَأَلَّا يَتَأَسَّ الضُّعْفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيَّهِمْ» (المصدر نفسه، الرسالة ٢٧، المقطع ١: ٣٦٢). يصرح الإمام (ع) أن الاهتمام الخاص بالمحرومين من أسباب سعادة المجتمع، فـ: «الأمة التي لا تأخذ حق الضعفاء من الظالمين لا تفلح» (المصدر نفسه: الرسالة ٥٣، المقطع ١١٠: ٤١٤).

إنَّ الاهتمام بالضعفاء والمحرومين في حكومة الإمام (ع) يأتي لتأكيد الإمام على كون هذا الأمر أصلا في أسس سياسته، وهذا وأن الالتزام بهذا الأصل يُعَدُّ النموذج الأعلى للإدارة والسياسة التي ينفذها الحاكم الإسلامي.

الخاتمة

إنَّ ما تحدثنا عنه بعنوان «أسس السياسة العلوية» (ع) هي تلك المعايير الرئيسية في حكومة الإمام (ع) وإدارته، التي وضع أساس حكمه عليها، والتي تشكل جوهر سياسته، ومن دونها تفقد السياسة العلوية مغزاها، وتتجلى غايتها في نمو الكماليات الإنسانية وسعادة الدارين. لقد بلور الإمام علي (ع) كل تلك المبادئ في حكومته الولائية والتوحيدية، ولم يتغافل عنها لا في الكلام ولا في العمل أبداً، وكان ملتزماً بها دائماً، ويمكن أن تترك دراسة سيرة الإمام الحكومية تأثيرها الكبير في تحديد السياسات الإستراتيجية والتنفيذية للنظام الإسلامي، وكذلك توجيه أفكار العلماء، لأنها الحكومة المثالية التي تبقى خالدة طوال التاريخ من خلال أسسها السياسية الشاملة والقيومية.

رمز الأمن، ذلك أن من يؤمن بأنه يسير على درب خالق الكون المطلق، و يراه سندا له، لا يبقى عنده ما يسبب إزعاجه وقلقه.

١٧. الإشراف المستمر

في النظام السياسي الناجح لا يمكن إغفال الإشراف المستمر على المسؤولين والولاة، إنَّ الإشراف الدقيق على النظام الحكومي يتأتى عن طريق عيون صادقة يخبرون الحاكم أحوال الولاة: «وَأَبْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ» (المصدر نفسه: الرسالة ٥٣، المقطع ٧٥: ٤١٠).

إنَّ الإشراف المستمر على مجموعة ما يؤدي إلى زيادة إنتاج الأعمال التي تقوم بها، وتحويل دون إلحاق الأضرار الكبيرة، فإذا تمت البرهنة على ارتكاب الجريمة والخيانة بعد ما أرسل المشرفون التقارير، يجب معاقبة المجرم (المصدر نفسه: الرسالة ٥٣، المقطع ٧٧: ٤١٠) حتى يكون ذلك إنذاراً للآخرين، و يقتلع بهذا جذور الاستغلال والفساد الأكبر، إنَّ تجاهل مثل هذا الأمر يأتي بفساد أكبر إداريا واقتصاديا و يلحق أضرارا جسيمة بالمجتمع.

١٨. المشورة والابتعاد عن الاستبداد بالرأي

إنَّ أصل المشورة والابتعاد عن الاستبداد بالرأي من أسس نظام السياسة في الحكومة العلوية (ع) ويحظى بأهمية بالغة، إذ قال الله تعالى للنبي بأن يشاور الناس في القضايا الاجتماعية: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» (آل عمران/ ١٥٩). على هذا من حقوق الناس على الوالي هي المشورة: اعلّموا ان حاكمك عليّ أن لا أقوم بعمل دون المشورة معكم ما عدى حكم الشرع (الرضي، ٢٠٠٨، الرسالة ٥٠، المقطع ٢: ٤٠٠). ان الإمام (ع) وبالرغم من كونه معصوماً، كان كأني إنسان آخر بحاجة إلى المشورة وكان يستشير مستشاريه في كل الأعمال الحكومية (المصدر نفسه: الخطبة ٢١٦، المقطع ٢٤: ٣١٦). لكن يجب الاستشارة مع الشخص الجدير بالأمر في الجوانب الفكرية والأخلاقية، لأنه إذا لم يكن المستشار جديراً بالأمر فهو يقود المجتمع إلى الطريق الخطأ، عالماً وعماداً، ولهذا حذّر الإمام (ع) من المشورة مع البخيل والجبان والحريص (المصدر نفسه: الرسالة ٥٣، المقطع ٢٨: ٤٠٦). إنَّ المشورة مع المحسنين والعارفين تأتي بنتائج كثيرة؛ منها التقليل من نسبة الخطأ، كما تتمّ بالمشورة الحجة على الناس. فضلا عن هذا إنَّ الهدف من المشورة ليس فقط الاستفادة من علم الآخرين وإرشادهم، بل إنها تحمل مصالِح أخرى قد تصبح ضرورية لتحقيق الأهداف، و على الحكام استشارة الناس، لأن ذلك تمنحهم الشخصية، وتقوي معنوياتهم، وإحساس التعاون الاجتماعي، وتحدث فيهم النشاط والمشاركة العامة.

المصادر

القرآن الكريم

- الطبري الآملي، محمد بن ابى القاسم (١٣٨٣). بشارة المصطفى لشيعه المرتضى. النجف: المكتبه الحيدريه. الطبعة الثانية.
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (١٣٨٧). تاريخ الطبري. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. بيروت: التراث. الطبعة الثانية.
- الطريحي، فخرالدين (١٩٩٥). مجمع البحرين. تحقيق احمد حسيني. طهران: مكتبة مرتضوي. الطبعة الثالثة.
- العكبري البغدادي، عبدالله محمد بن محمد بن نعمان (الشيخ المفيد). (١٤١٣). الأمل. تحفظ حسين ولي و على اكبر غفاري. قم: مؤتمر الشيخ المفيد.
- فيض الكاشاني، محمد بن شاه مرتضى (١٩٩٧). المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء. تصحيح على اكبر غفاري. قم: جامعه مدرسين.
- مجلسي، محمد باقر (١٤٠٣). بحار الانوار. بيروت: دار إحياء التراث العربي. الطبعة الثانية.
- مدرس وحيد، احمد (١٩٨٣). شرح نهج البلاغه. قم: احمد مدرس وحيد.
- مطهرى، مرتضى (١٩٨٧). جاذبه و دافعه على (ع). طهران: صدرا. الطبعة السابعة.
- — (١٩٨٧). پيرامون جمهورى اسلامى. طهران: صدرا. الطبعة الثانية.
- مكارم شيرازى، ناصر (١٩٩٦). پیام امام، شرح تازه و جامعى بر نهج البلاغه. طهران: دار الكتب الاسلاميه.
- منقرى، نصر بن مزاحم (١٤٠٤). وقعة صفين. تحقيق عبد السلام محمد هارون. قم: مكتبة آية الله المرعشى النجفى. الطبعة الثانية.
- النورى، حسين بن محمد تقى (١٤٠٨). مستدرک الوسائل و مستنبط المسائل. قم: مؤسسه آل البيت (ع).
- النويرى، احمد بن عبد الوهاب (١٣٩٥). نهاية الأرب فى فنون الأدب. تحقيق محمد رفعت فتح الله. القاهرة: المكتبه العربيه.
- اليعقوبى، احمد بن أبى يعقوب (لاتا). تاريخ اليعقوبى. بيروت: دار صادر.
- ابن ابى الحديد، عز الدين ابو حامد (١٩٥٩). شرح نهج البلاغه. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. قم: مكتبة آية الله المرعشى النجفى.
- — (لاتا). شرح نهج البلاغه. تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم. قم: مكتبة آية الله المرعشى النجفى.
- ابن ابى جمهور، محمد بن زين الدين (١٤٠٥). عوالى اللئالى العزيزية فى الأحاديث الدينيه. تحقيق مجتبى العراقى. قم: دار سيد الشهداء.
- ابن اثير، عز الدين على بن أبى الكرم (١٣٨٥). الكامل فى التاريخ. بيروت: دار صادر.
- ابن شهر آشوب، ابو جعفر محمد بن علي (لاتا). مناقب آل ابى طالب. قم: منشورات علامه.
- الآمدى، عبد الواحد بن محمد (١٩٨٧). تصنيف غرر الحكم و درر الكلم. قم: مكتب الدعاية الإسلامية.
- البلاذرى، احمد بن يحيى بن جابر (١٣٩٤). انساب الأشراف. تحقيق محمد باقر محمودى. بيروت: مؤسسه الأعلمى للمطبوعات.
- جرداق، جرج (١٩٩٦). امام على (ع) صداى عدالت انسانى. قم: نشر خرم.
- جعفرى، محمد تقى (١٩٩٦). ترجمه و تفسير نهج البلاغه. طهران: مكتب نشر الثقافة الاسلاميه. الطبعة السادسة.
- الحر العاملى، محمد بن حسن (١٤٠٩). وسائل الشيعه. قم: مؤسسه آل البيت (ع).
- دلشاد طهرانى، مصطفى (٢٠١٥). تفسير موضوعى نهج البلاغه. قم: نشر معارف. الطبعة الثانية العشرة.
- ديون پورت، جان (١٩٧٦). عندر تقصير به بيشگاه محمد و قرآن. ترجمه غلامرضا سعيدى. قم: دار التبليغ اسلامى.
- الرضى، الشريف، محمد بن حسين (٢٠٠٨). نهج البلاغه. ترجمه محمد دشتى. مشهد: سنبله.